دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

أعلام من حصون طاطا
خلّدتهم الطوبونيميا

د. عمر أوبلا

دكتوراه في اللسانيات
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن زهر أكادير – المملكة المغربية

مُلَخّص

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب من جوانب تاريخ منطقة طاطا جنوب المغرب، إذ أن مجال التعريف بالأعلام البشرية والشخصيات العلمية والدينية والتاريخية التي مرّت بالمنطقة خلال فترات تاريخية متفرقة، يكاد يكون غائبًا، خصوصًا إذا كانت طريقة التعريف بهم من نوع آخر أو من مجال علمي آخر غير التاريخ، ألا وهو الطوبونيميا، الذي يعتبر من العلوم الحديثة النشأة رغم الاهتمام الكبير الذي كان يوليه المؤرخون والرحالة ودارسو اللسانيات للأعلام المكانية خلال القرون الماضية، إلا أن الاهتمام بهذا التخصص لم يظهر إلا خلال أواخر القرن التاسع عشر. وتبرز أهمية هذا المجال العلمي في دراستنا هاته في حفظ والتأريخ لشخصيات بارزة بمنطقة طاطا احتفظت بأسمائهم وسيرهم مجموعة من أسماء الأماكن تداولتها الساكن جيلاً عن جيل، ما ساهم في تداول سيرهم وبطولاتهم ومكانتهم في مجتمع طاطا. وسنحاول خلالها التعريف بهم معتمدين على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية والدينية التي احتفظت بتراجمهم، مبرزين في ذات الآن أهمية علم الطوبونيميا في الحفاظ على الخصوصيات الثقافية والبشرية والطبيعية للمكان.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٣٠ مارس ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٦ أبريل ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

التراجم والأنساب؛ الطوبونيميا التاريخية؛ الأعلام البشرية؛ الطوبونيميا؛ طاطا

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.280357.1117

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عمر أوبلا، "أعلام من حصون طاطا خلّدتهم الطوبونيميا".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الخامس والستون؛ سبتمبر ٢٠٢٤. ص٤٨ – ٦٠.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: massin05@yahoo.fr
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تعتبر منطقة باني جنوب المغرب من أقدم المناطق التي استوطنها الإنسان في شمال أفريقيا، إذ أن سكان المنطقة دأبوا على التعريف ونشر الحضارات المتعاقبة على المنطقة منذ عهد ما قبل التاريخ. غير أن أهم حقبة تجلت فيها مظاهر النبوغ والثقافة والعلم كانت تلك التي جاءت مباشرة بعد دخول الإسلام للمنطقة، لتصبح بعد ذلك من أهم المراكز العلمية التي توافد عليها طلاب العلم من جميع الأصقاع، وتحظى مدارسها وشيوخها بمكانة مرموقة ساهمت في نشر تعاليم الإسلام ونبذ العنف والكراهية ونشر قيم التسامح والتعايش السلمي.

وكان العلماء من أكبر دعامات الصرح الثقافي والعلمي بالمنطقة، حيث ذاع صيتهم في المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، وأثثوا لحقبة تاريخية ما كانت لتنسى ونحن نجد معاصرهم قد أطلقوا أسمائهم على مجموعة من الأماكن، كالمنازل والمزارات مثلا... لتتناقل بعدها جيلا عن جيلا إلى أن وصلتنا عبر الرواية المكتوبة منها والشفوية، لنأخذ على عاتقنا مهمة ليست بالهينة ألا وهي التعريف بهؤلاء من خلال ما خلفته الطوبونيميا من إرث حضاري وثقافي وكذا التعريف بإنجازاتهم العلمية والتاريخية.

من هذا المنطلق إذن يتبين أن دراستنا هذه سوف يكون موضوعها حول أعلام من منطقة باني (تحديدًا منطقة طاطا) ذاع صيتهم واشتهروا من خلال أسماء أماكن أخذت تسمياتهم، ساهموا بنبوغهم في التأسيس لتاريخ وحضارة المنطقة منهم من ذكرته الكتب والمصادر ومنهم من تغافلت عنه، ما يجعل نقل سيرتهم من الصعوبة في مكان، غير أن اسم المكان ظل هو الضامن لاستمرارية خلودهم وجعلهم في ذاكرة أهالي دواوير وقرى المنطقة.

أولاً: منطقة طاطا (مهد الحضارات والعلوم)

يظهر من خلال العينة التي سيتناولها عرضنا هذا أن أغلب الأماكن التي حافظت على أسماء أعلام المنطقة تتمثل في المزارات والمساجد والمنازل، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أن هذه الأماكن كانت فيما مضى (منذ دخول الإسلام إلى المنطقة) قبلة للطلبة والشيوخ ومنارة للعلم والمعرفة، إذ أن علماءها تخصصوا في العلوم الدينية وتقلدوا مناصب المسؤولية ليشهدوا على حقبة مشرقة من تاريخ المنطقة. فكل المصادر التاريخية المغربية أجمعت على أن مدينة "تامدُولت" كانت تشكل فيما مضى نقطة التقاء بين الطرق التي تربط شمال المغرب بجنوبه وبالبلدان جنوب الصحراء وشرقه (مدينة سجلماسة) بغربه (مدينتي نول ولمطة)، حيث يشاع في المنطقة أن أغلب سكان دواوير طاطا والجبال المحيطة بها نزحوا من هذه المدينة بعد خرابها، ورغم اختلاف الروايات عن بنائها وخرابها إلا أن هذه الروايات تخفي وراءها حقائق تاريخية وأعلام كان له دور كبير في إرساء دعائم أكبر التجمعات السكنية بمنطقة باني. كما أن هناك من المظاهر ما يؤكد الدور الحضاري والتاريخي لساكنة المنطقة. وقد كانت منطقة طاطا، من جهة مهدا لدول تعاقبت على حكم المغرب (دولة المرابطين والسعديين مثلاً)؛ ومن جهة ثانية فهي مازالت قبلة للزوار والتجار من خلال العديد من المواسم والأسواق في عدة مناطق من أهمها: موسم بن يعقوب بإيمي نتاتلت الذي يقام في شهر أبريل من كل سنة وموسم سيدي محند بن إبراهيم التامانارتي الذي يقام خلال شهر شتنبر... يضاف إلى ذلك أن العديد من المؤسسات الدينية والزوايا مازالت تستقبل مئات الطلاب والمريدين ومنها مثلا: زاوية أيت حساين ومدرستها العتيقة بدوار أكادير الهناء بجماعة طاطا، مدرسة وزاوية مغيميمة وبنموسى التابعة لجماعة تسينت، مدرسة سيدي والكناس العتيقة بجماعة إسافّن.

ثانيًا: أهمية الطوبونيميا في الحفاظ على التراث الإنساني

يظهر جليا أن الأعلام الجغرافية تكون ثروة وطنية ضخمة ينبغي الاعتناء بها كما يجب، لأنها تعتبر وثيقة تاريخية ثمينة لا تقل قيمة عن الوثيقة التي تتمثل في القطع النقدية أو الأختام السجلوغرافية أو حتى بعض النصوص المكتوبة. وهكذا فإن العلم الجغرافي بحر زاخر بكل المعطيات التي يمكن أن يتصورها المرء، ومن ثمّ اكتسبت الأعلام قوتها وفرضت علينا احترامها، بل

وتصدت هي لذاتها أمام كل محاولة لطمس معالمها، إلا فيما يقتصر على شرحها وتفسيرها وتأويلها[١]. كما يمكن القول إن الأعلام المكانية تسهم بدور كبير في التعريف بالبيئات القديمة والمنقرضة أو المتحولة وكذا بالأعلام البشرية، وذلك بإعطاء شهادات عن تواجدها وامتداد معالمها. وبالتالي يمكن الوصول إلى تصور تاريخ لأي مجال يراعي كل الظواهر القديمة، بيئية كانت أم بشرية[٢].

وتظهر أهمية الطوبونميا، من الناحية الاستراتيجية، على المستويين الوطني والدولي في الاهتمام المتزايد في مجالات الاتصال، الإعلام، إعداد الخرائط والسياحة. فعلى المستوى الوطني، نجد أن الأماكنية تشرك بشكل مباشر التمثلات الإجتماعية، الثقافية واللسانية للذاكرة والهوية المحلية، كما يمكن أن تكون جزءا ضمنيا ضمن التراث الثقافي والتاريخي الهوياتي. فاللغة تعتبر معبرا وممرا لكلّ المكونات الثقافية والتاريخية واللّسنية الخاصة بالحقائق المحلية والوطنية[٣].

أما الباحث الطوبونمي «Albert Dauzat» فقسّم أهمية اسم المكان إلى مستويين اثنين: فبأهميتها النفسية، التاريخية والاجتماعية، تكون للطوبونميا بصمات حول الحضارات الماضية. فالإنسان كان محتما عليه دائما عبر التاريخ أن يمنح للأماكن أسامي تعبر عن انتمائه الهوياتي عن طريق لغته وحضارته. فهي بذلك تعبر عن تحركاته التاريخية، عن هجراته، الفترات الاستعمارية التي تعرضت لها الدول، وايضا عن المناطق التي ترك فيها أثاره. كما أن الظواهر الروحانية والصوفية يمكن تجسيدها في أسماء الأماكن، وذلك عبر منحها أسماء أولياء أو ملوك تعاقبوا على حكم هذه المناطق. أما المستوى الثاني فيتعلق الأمر بالأهمية اللسانية للطوبونميا، التي أدرجها في الدرجة الأولى من حيث الأهمية. حيث أبرز أن اسم المكان يمنح لنا العناصر الأساسية للمعارف السابقة عن الأماكن. كما تساعدنا في إيجاد الحدود اللغوية بمنطقة معينة وكذا إعادة الترتيب الكرونولوجي للتطورات الصرفية والتركيبية. فأسماء الأماكن، من وجهة نظر الباحث، تشكل أحفورات نحوية ومعجمية، كما أنها تساعدنا في التوصل إلى العديد من القواعد الصوتية[٤].

ويمكن القول على أن التسمية المواقعية شكل من أشكال ترك بصمات ذاتية في المجال تشهد على الحدث والتمثل والممارسة لتقوية الذاكرة بالنسبة للإنسان، ولمحيطه، وبالنسبة لحاضره، ومستقبله. فالأعلام لا يمكن حصرها في التوطين والتدليل فقط، بل إنها تعبّر أساسا على الإحساس والتفكير والتعبير والسلوك في الزمن والمكان في نفس الوقت[٥].

ثالثًا: الطوبونيميا المغربية (النشأة والتطور)

دراسة أسماء الأماكن المغربية لم تكن وليدة اليوم فقد اهتم بها الجغرافيون القدماء دون أي يولوا عناية كبيرة لضبط الاسم الجغرافي، فقد اهتموا بتحديد المسافات بين المدن. ومن بين الجغرافيين العرب الذين اعتنوا بدراسة لأعلام الجغرافية المغربية خلال السنوات الأولى لدخول الإسلام، نجد ياقوت بن عبد الله الحموي في كتابه "معجم البلدان"، وحاول من خلاله تقديم تفسيرات حول بعض الأعلام الجغرافية، وألح على الاهتمام بالبحث فيها لكونها تعتبر نبراسا لأهل السير والأخبار والحديث والتواريخ والآثار"[٦]. لنجد أنفسنا في نهاية القرن السادس الهجري (سنة ١٢٧٤م) مع أثر جليل لأحد المغاربة هو ابن سعيد في كتابه "الجغرافيا" الذي اعتمده الملاح الشهير ابن ماجد، وقد حققه وعلق عليه ووضع مقدمته الأستاذ إسماعيل العربي[٧]. وإذا تحدثنا عن الجغرافية وأسماء الأماكن والأمصار فلا بد من ذكر الرحالة ابن بطوطة الطنجي الذي اقتنع العالم كله بأهمية رحلاته الواسعة التي استغرقت نحوًا من ثلاثين سنة، والتي كانت فيها أكبر الفوائد لعلماء الجغرافية وخصوصا للبلدان التي زارها والتي تمثل ثلثي المجموعة الدولية[٨].

كما نشير إلى رسالة مخطوطة بعنوان "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة" للمقريزي، تناول فيها بعض القضايا التي تتصل بجمهورية جنوة والمملكة المغربية، ومما جاء في هذا المؤلف أن السلطان أبا عنان المريني تاقت نفسه إلى امتلاك بعض الجزر في المحيط فجهّز قائد الأسطول بناحية أزمور في غراب مشحون

بالأزودة والرجال فغاب في البحر شهرين وعاد من غير أن يعرف لتلك الجزر خبرًا[٩].

ومن الباحثين المحدثين الذين أولوا عناية بالغة للحديث عن أسماء الأماكن المغربية بصفة عامة والسوسية بصفة خاصة العلامة محمد المختار السوسي في كتابيه المعسول وخلال جزولة، فهما خير مخبر عن العديد من أسامي الأماكن بالجنوب المغربي، لكنها كغيرها من دراسات المتقدمين لا تندرج ضمن الدراسات الطوبونميا الحقيقية التي يمكن اعتبارها مرجعا لهذا العلم. فعلم الطوبونميا المستقل بذاته، لم يظهر في شمال أفريقيا إلا بعد دخول الاستعمار، ومن الطبيعي أن يكون جل الباحثين والمهتمين بهذا الصنف من الدراسات أجانب، وكان المغرب من بين الدول المغاربية التي ركز عليها الباحثون اهتماماتهم. إذ أن إدارة المستعمر سهلت على الباحثين الحصول على الامتيازات والضمانات التي تساعدهم في التنقيب والبحث. غير أن أغلب البحوث كانت ذات منحى اثوجرافي عرقي وأنثروبولوجي، كما كانت تهدف إلى مساعدة السلطات الاستعمارية على تطويق المناطق التي تعرف شرارة المقاومة قصد تسهيل عمليات التوغل والسيطرة.

وقد ظهرت في الطوبونميا أول دراسة حول شمال أفريقيا سنة ١٨٩٧ للباحث «Mercier Gustave » حول جبال "الأوراس"[١٠]. إلا أنّ أهم الدراسات هو ما قام به «Emile Laoust» أحد أساتذة اللغة الأمازيغية بالمعهد العالي للغة العربية واللهجات بالرباط، الذي ألف كتابه الأول المعنون «Mots et choses berbères»، سنة ١٩٢٠، ويحمل بين طيّاته إشارات وإيماءات جمعها الكاتب أثناء فترة الحماية يهدف من خلالها إلى البحث عن الأصل الاشتقاقي للأسماء قصد تفكيك آلياتها الدلالية ثم الأخذ بعين الاعتبار الاستعمالات اليومية للسكان والعمل على مقارنتها بمثيلتها في مناطق أخرى[١١]. ثم أتى بعده الإصدار الثاني تحت عنوان: «contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas»، المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية سنة ١٩٣٩. وسعى من خلاله الباحث "إميل لاووست" إلى القيام بدراسة طوبونمات الأطلس الكبير انطلاقا من الخرائط التي أعدها الجغرافي «Jean Drech». وببحثه هذا يكون "لاووست" قد مهد لدراسة العديد من الحقول الدلالية التي تندرج ضمنها الأماكنية الأمازيغية، فبداية بدراسة الأرض، من خلال العديد من الأمثلة المتعلقة بها (akal, ifni, açuda...) ، إلى دراسة أسماء مرتبطة بالماء كثروة يحيى بها الإنسان والحيوان (asif, azmu, avbalu...) ، إلى السكن باعتباره أساس العيش والاستمرار (tamazirt, tigmmi, asarag...)، مرورا بأسماء النباتات المعتمدة في تسمية الأماكن (aäil, alili, anfalku...)، وأسماء الأشياء (agdur, azrzu...)، لينهي دراسته بالعديد من الطوبونمات التي توحي إلى عدة معاني في جبل درن أو في مناطق أمازيغية أخرى (adrus, aduz...).

ليأتي بعد ذلك العديد من الباحثين المغاربة الذين ساهموا في دراسة الطوبونميا المغربية، غداة الوعي بأهمية هذا العلم في المحافظة على الهوية، فظهر منذ نهاية السبعينات دراسات علمية نذكر منها: مقال بعنوان "أسماء الأماكن جلها أمازيغية" لمحمد شفيق ركز فيه على بيان البعد الأمازيغي للطوبونميا المغربية، ودراسة للأستاذ "أحمد صابر" تحت عنوان:

«vers un répertoire de la toponymie marocaine dans les cartes et les textes portugais, espagnols et français»

وتبقى أطروحة الأستاذ "أحمد الهاشمي" سنة ٢٠٠٢ حول: "الأماكنية المغربية: المشهد الطبيعي والبشري في أماكنية سوس" أول أطروحة دكتوراه في الطوبونما المغربية على المستوى الوطني، وقد قام فيها بدراسة وتحليل نماذج من أسماء الأماكن بمنطقة سوس.

وتعدُّ الندوة الوطنية حول الأعلام الجغرافية التي أقيمت بمدينة المحمدية أيام ١٥-١٦-١٧ أبريل ١٩٩٢ تحت عنوان "الاسم الجغرافي: تراث وتواصل"، من تنظيم المعهد الجامعي للبحث العلمي ومديرية المحافظة العقارية والأشغال الجغرافية، من أهم الإنجازات العلمية والأكاديمية التي أنجزت حول علم الأماكنية بالمغرب والتي أثمرت عن مجموعة من التوصيات كان مآلها الإهمال واللامبالاة من طرف المسؤولين وكذا الأكاديميين.

رابعًا: نماذج من أعلام طاطا عرّفتهم الطوبونميا

تبقى دراسة الأعلام في منطقة باني بشكل عام وإقليم طاطا بشكل خاص من الدراسات القليلة التي لم ترق بعد إلى ما يجب أن يتم فعليا، غير أن دراسة اسم المكان من حيث دلالاته وامتداده التاريخي والجغرافي تعتبر من الدراسات النادرة والمحدودة في بعض البحوث الجامعية التي سعى من خلالها الطلبة والأساتذة الباحثين إلى نفض الغبار عن رقعة ضيقة تشمل مكان تواجدهم وترددهم. ما يجعلنا أمام تحديات مستقبلية في هذا المجال الخصب الذي يستمد مشروعيته من المكان ككيان طبيعي والإنسان ككيان بشري وجب ايلاءهم أهمية كبرى في المستقبل، إن أردنا فعلاً أن نعرف من نحن وكيف تكيفنا مع هذه البيئة وكيف اهتدينا إلى تمسية محيطنا.

ويعتبر حقل الأعلام من الحقول التي فرضت ذاتها في مجال الطوبونيميا، حيث إن الساكنة تعمد إلى تخليد أسماء علماء وفقهاء وقضاة وشخصيات معروفة... إلخ، من حقب تاريخية معينة بواسطة إطلاق أسامهم سواء على بعض الأماكن التي كانوا يرتادونها أو منازل يسكنونها أو مقابرهم. ومن الأسماء التي وقفنا عليها من خلال بحوثنا حول الطوبونميا بمنطقة باني نجد:

٤ / ١-عائلة أيت حســـــــــاين وأبناؤها

تعتبر عائلة أيت حساين من العائلات العلمية العظيمة والمعروفة في تاريخ طاطا حيث إن فيها رجالاً نفعوا هذه المنطقة بعلمهم وإرشادهم وفيهم خلف صالح سار على درب سلفهم. كانوا مجدين في إصلاح ذات البين طالبين للحق معينين عليه ولو بالقتال، ساعين في استفادة معايشهم بالحرث والغرس وحفر العيون وإصلاحها وبالتجارة واقتحام الأسفار مستغنين بذلك عن مد ذات اليد، كل منهم يسعى فيما يصلح له ولإخوانه المسلمين غير ملهي بذلك عن الاشتغال بما يحتاج إليه من علوم الشريعة مع حفظ القرآن العظيم حفظا جيدا، فترى عوامهم يحفظون الشريعة باللغة الأمازيغية المحلية (تاشلحيت) وحتى نسائهم مولعين بالدين بإقام الصلاة في أوقاتها على أكمل وصف بإتمام ركوعها وسجودها بشرائطها وآدابها المقررة. وقليل منهم من غلبت عليه شهوته. وهذه هي الحالة التي كان عليها أوائل عائلة أيت حساين وأدركها المتأخرون عن أبنائهم وأحفادهم[١٢].

وكانت المدرسة الهنائية التي أسسها علماء عائلة أيت حساين من أكبر المدارس بالمنطقة وأشهرها، كان يدرس بها العلم منذ أواخر القرن الثاني، حيث كانت أكباد الإبل لطلبة العلم تضرب إليها من كل نواحي سوس، لتغرب شمس العلم بهذه المعلمة العلمية عقودا عدة بوفاة سيدي أحمد بن عبد الرحمان الذي تولى القضاء نيابة عن آخر أحفاد العائلة العالمة. غير أنه تم تجديد دماء التدريس والعلم بالمدرسة خلال العقدين الأخيرين، إلى أن صارت ضمن المدارس التي أدرج بها النظام الجديد في التدريس العتيق بالمغرب، وهي الآن تضم أزيد من ٨٠ طالبا من مختلف المستويات التعليمية من الابتدائي إلى سلك البكالوريا.

ومن أبرز الأماكن التي سميت تيمنًا بهذه العائلة العلمية في تاريخ المنطقة نجد:

لبرج ن أيت حساين:

عَلَم على برج قديم ما زال قائما إلى يومنا هذا بمنزل عائلة إزوتارن (أصلها من دوار تيورضيوين بإداومارتيني بقبيلة إسافن) بمنطقة أكسار، كان قد بناه سيدي عمر ؤ لحاناف عندما تولّى مشيخة القبيلة، وذلك قصد مراقبة بلدة أكادير الهناء من جهة الشمال. والعلم اسم مركب من: "لبرج" وتعني البرج بالعربية و"تاضافت" بالأمازيغية[١٣]. "ن" حرف إضافة. "أيت حساين" اسم العائلة المذكورة سلفا. وقد نسب هذا البرج لهذه العائلة، لسببين، أما الأول فكون بناته هم من عائلة ايت حساين، والسبب الثاني أن هذه المنطقة من دوار أكادير، التي توجد عند مدخل أكادير، تسكنها أسر من عائلة أيت حساين.

دّرب ن أيت حساين:

عَلَم على أقدم وأطول سقيفة توجد بحصن أكادير الهناء، لها عدة أبواب كانت فيما مضى تغلق مساء وتفتح في الصباح الباكر (من أجل أمن وأمان الحصن)، تسكنه عائلات من أيت حساين، بنيت فيه المنازل الأولى بدوار أكادير الهناء من طرف أجداد العائلة (أحمد الأعرج

وابنيه محند ومحمد)، ولهذا الممر أربعة أبوب كبيرة، تعتبر المداخل الرئيسية للحصن.

العلم اسم مركب من: "دّرب" ويعني السقيفة الطويلة والسرداب. "ن" حرف إضافة. "أيت حساين" علم على أول عائلة سكنت دوار أكادير الهناء بأمر من أبيهم سيدي أحمد الأعرج، وإليها ينسب هذا الممر الطويل. غير أن أغلبية منازل هذه السقيفة أصبحت مهجورة من طرف ذويها سواء بسبب الهجرة نحو المدن أو الهجرة والبناء في منبسط تاكنيت وتاوريرت أو بسبب تقادمها، مما يستدعي تظافر الجهود من أجل إحياء هذا التراث الإنساني من الاندثار. وقد كان هذا الدرب مرفقًا مهمًا في حياة سكان حصن الهناء، فقد كان مكان للاجتماعات التي تعقدها جماعة الدوار، كما مسرحا لإحياء سهرات فن أحواش خلال السنوات التي تلت بناءه سواء في المناسبات العائلية الخاصة بعائلة أيت حساين أو المناسبات الدينية والوطنية التي يحييها أهل الدوار.

لقّوبت ن سيدي محمد ن ايت حساين:

عَلم على قبة بيضاء توجد فوق جبل تازّمكّا وُري فيها جثمان الشيخ العالم سيدي محمد بن أحمد ن أيت حساين. وقد بنيت هذه القبة بعد وفاة الفقيه بسنوات فوق قبره، كما دفن قربه أبناء عمومته وأبناؤه وأحفاده من علماء أيت حساين.

العلم اسم مركب من: "لقّوبت" وهو اسم مؤنث مفرد يجمع على "لقّوبّات" وتعني القبة باللغة العربية، وهي القبّة الموجود فوق جبل تازّمكّا، التي بنيت من طرف بنائي عائلة أيت بوحيا من منطقة أكينان، الذين ذاع صيتهم سابقا في مجال البناء التقليدي خصوصا في بناء منازل القياد والشيوخ والأعيان. "ن" حرف إضافة. "سيدي" اسم تبجيل. "محمد" اسم علم ذكر. "ن" حرف إضافة. "أيت" أداة نسبة. "حساين" أو حسين وهو من رجالات أوائل القرن الثاني عشر[١٤]، وهو جد عائلة أيت حساين.

والفقيه سيدي محمد هو من أشهر علماء زاوية أيت حساين، وهو محمد بن أحمد، وكان من أكابر أولياء الله الصالحين خاتمة الصوفيين المحققين في جزولة، وآخر من أحي به الله مجالس الذكر في البلاد السوسية، كان في ابتداء أمره يحب الخلوات والاعتكاف في المساجد لقراءة القرآن والصلاة والتباعد عن الخلق. كان يتعاهد ضيعته لكسب الحلال ويفوضها للخمّاسين.

وقد كثرت كراماته وانتشرت بركاته، وما وصلنا من عنه أن أهل بيته لا تفوتهم صلاة مع الإمام، الرجال في المسجد والنساء في المسمع في قعر بيوتهن. كما كان رضي الله عنه يكتب إلى القبائل البعيدة والقريبة وكانوا ينفذون ما أمرهم، وإلا فإنه تصيبهم بلية، ومنها أن جيرانه في وولّت (طاطا الحالية)، وتاكموت والويدان (إسافّن) وأقّا كانوا أهل فتن قرنا بعد قرن لا تخمد نار فتنتهم، حتى أظهره الله فأخمدها شيئا فشيئا حتى لا أثر لها وصاروا ببركته إخوانا يتشاورون على أمرهم[١٥].

ومن أشياخه سيدي يوسف بن محمد الناصري، أخذ عنه في حياته ثم لزم زيارته بعد مماته زيارة أسلافه أشياخ تامكروت. وهو من أساتذة الشيخ أبي العباس التيمكيدشتي، فقد أقام الشيخ في الزاوية والمدرسة الهنائية مجدا في إقامة الدين وإحياء السنة وظهرت ولايته وصلاحه وإصلاحه عند الخاصة والعامة فيأتيه الناس من كل ناحية ويعينونه على ما هو بصدده من إطعام الأضياف والقيام باليتامى والأيامى. وروي أن السلطان الشريف مولاي عبد الرحمان قد زاره في بيته واصطحبه معه إلى المسجد ولم يعرفه الناس حتى ذهب، وأخبرهم سيدي محمد بأن من صلوا به قبل ثلاثة أيام هو إمام المسلمين ففرحوا بذلك غاية الفرح. توفي رحمه الله في الجمعة الثاني عشر من ربيع الثاني عام ١٢٥١ هـ. ورثاه الفقيه سيدي الحسن بن الطيفور بأبيات قائلاً[١٦]:

سلام على القبر الذي ضم أعظما
تجول المعالي حولـه وتسلـم
ســـلام عليك كلمـا ذر شارق
فلم يبق جزء من دجا الليل مظلما

كتب عنه العديد من الفقهاء والشيوخ الذين تتلمذوا على يديه، ومنهم الفقيه سيدي الحسن بن الطيفور الساموكني، العالم أبو زيد التاغاغرتي. ومن أشياخه سيدي يوسف بن محمد الناصري أخذ عنه في حياته ثم لزم زيارته بعد وفاته وزيارة أسلافه أشياخ "تامكروت".

تيكمّي ن سيدي محند ؤحماد:

علم على منزل يقع بدوار أكادير الهناء القديم، بسقيفة دّرب ن أيت حساين، بناها الشيخ العلامة سيدي محند بن أحمد الأعرج، وهو من أقدم وأكبر المنازل، إذ ينقسم إلى عدة أجنحة كلها الآن في ملكية أحفاده من عائلة أيت حساين، قبالة منزل أخيه سيدي محمد بن أحمد.

العلم مركب من: تيكمّي وتحيل على البيت أو المنزل. "ن" حرف إضافة. "سيدي" اسم تبجيل. "محند" اسم علم ذكر. "ؤ" حرف نسبة. "أحمد" اسم علم مذكر. وسيدي محند بن أحمد هو الابن الثاني لمؤسس بلدة أكادير الهناء سيدي أحمد الأعرج. ويعد أول من رفع آية التدريس بالمدرسة العتيقة وهو ما يزال ببلدة مركوس المندثرة، وقد كان قبل ذلك مشارطا بمدرسة مّوشدّير (مدرسة قديمة مندثرة حاليا، وتوجد بدوار أيت سرحان بإسافّن)، غير أن أهل قبيلة جزولة التاسوسختية بطاطا ذهبوا وراودوه لينزل للشرط في بلدته بعدما تكفلت القبيلة من شمالها (أفرا) إلى جنوبها (تيكّان) على جمع ثلث العشر لمؤونة الطلبة المتعلمين، واستمر ذلك مدة من الزمن ثم انقطع بسبب فتنة اشتعلت بين الفقيه سيدي امحمد بن محمد بن أحمد الأعرج وبين الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبلّا من أبناء عبد الرزاق الكجكالي الإفراني[١٧]، والتي كانت تعرف بفتنة السبع عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام. توفي بعد وفاة أبيه بقليل.

كما يوجد مكان آخر ينسب لهذا الشيخ العلامة وهو: مقبرة سيدي محند أوحماد، وهي مقبرة كبيرة توجد في الجزء الشمالي للواحة، بين شّاريج ن إيمّغي وفدان وُرْتانْ، كانت فيما مضى مقبرة سكان أفرا حينما كانوا يقيمون في دوار مركوس، وبعد خرابه وإنشاء ثلاث دواوير قسمت المقبرة إلى جزأين، الجزء الجنوبي خصص لأهل حي إمّغي ودوار أكُجكال والجزء الشمالي لأهل أكادير الهناء خصوصا لعرب أولاد جلال وأولاد علي.

تادّواريت ن سيدي حماد ؤمحند:

عَلم على منزل قديم يوجد وسط مدشر أكادير الهناء، يقع بزقاق تاسوكّت ن طّلبا، بناها الشيخ سيدي أحمد بن محند بن محمد بن أحمد الأعرج. كانت تتخذه عائلة أيت حساين مقرّا للضيافة ومستقرّا للعلماء والفقهاء، وكذا مقرا لمقدم الزاوية. العلم اسم مركب من: "تادّواريّت" وتعني المنزل وهي من أنواع البناء المشهورة في المناطق الواحية لتوفره على ظروف التكيف مع المناخ الحار في فصل الصيف، ويتكون هذا المنزل من طابقين؛ الطابق الأرضي، غالبا ما يكون مشتملا على زريبة للحيوانات والمطبخ وخزين العائلة؛ أما الطابق الأول فيتكون من عدة غرف، تتخذ إحداها غرفة للضيوف؛ وهي على شكل ما يعرف في المدن المغربية الكبيرة بالرياض، ولكن صغير في شكله. وهذا النوع من المنازل تشتهر به منطقة أفرا وخصوصا دوار أكادير الهناء. "ن" حرف إضافة. "سيدي" اسم تبجيل واحترام. "أحمد" اسم علم ذكر. "محند" اسم علم مذكر. وسيدي أحمد بن محند بن محمد بن أحمد الأعرج علامة جليل قليل النظير في معاصريه بناحية طاطا، كان قد سافر إلى فاس على رجليه قصد التزود بالعلوم الشرعية، إلى أن أرسل إليه أبوه عدة رسائل للرجوع إلى البلدة لينتفع أهلها بعلومه بعد أن جاءته رسالة من والده يعجل له فيها بالإياب فنام فرأى في منامه الشريف الولي الصالح إدريس بن مولانا إدريس فأعطاه شرابًا صافيًا فشرب حتى شبع ولم يجد له مساغا فانتبه من منامه. فعجل الرجوع فتزوج أربع زوجات فأكثر لأن واحدة منهن ماتت. وكلفه والده بتعليم الصبيان بعد تضلعه في العربية والفقه وعلى يده تتلمذ العديد من الشيوخ وجل طلبة البلدة وأحوازها وحفظوا القرآن والآداب الشرعية. توفي رحمه الله سنة ١٣٤٨ هـ[١٨].

تادّواريت ن سيدي حماد أوموس:

علم على منزل يوجد بالتجمع السكني "اسقّول ن أيت يدير بدوار أكادير الهناء، كان في ملكية شيخ يسمى سيدي أحمد بن موسى. والعلم اسم مركب من: "تادّواريّت" تعني المنزل أو البيت الفسيح. "ن" حرف اضافة. "سيدي" اسم تبجيل. "أحمد أو موس" هو أحمد بن موسى، وهو شيخ كبير من حفدة عائلة أيت همّو مبارك، وأصله من أسرة إحرضانّ بدوار تييُكّان (آخر دواوير أسيف ن ولت تقع جنوب طاطا)، وقد وفد الجد الأكبر لهذه العائلة من إسافن، وبالضبط دوار زّاويت ن ايت هارون، على غرار مجموعة من العائلات المنسوبة

لقبيلة تاسوسخت بينما عرج أخوه إلى منطقة تامزرارت بأيت وابلي (قرب تاداكوست)، وهناك في إسافّن تلة تنسب لإحرضانّ ويقال لها تاوريرت ن ؤحرضانّ، فأصلهم هناك وربما كانوا في أقّا (تامدولت) قبل مجيئهم إلى طاطا، توفي سنة ١٣٣٦ هـ[١٩]، وكان رحمه الله عالما كبيرا درّس الفقيه الشيخ سيدي أحمد بن عبد الرحمان (الذي أخذ عنه المختار السوسي تاريخ علماء مدرسة «أكادير الهناء») بمنطقة "تلات ن تلغمين" قرب "تيريت" بتارودانت.

٢/٤-عائلة أيت عبد الرزاق

تعتبر عائلة أيت عبد الرزاق من أكبر العائلات بدوار أكجكال، الذي يشكل إلى جانب دوار أكادير الهناء ما يسمى بأفرا. وهي من العائلات العريقة التي نالت حظ القيادة في فترة تاريخية من تاريخ المنطقة، كما تشكل أسرها حاليا نسبة مهمة من ساكنة الدوار السابق الذكر، ويستقرون حاليا في شرق واحة أفرا بدوار أكجكال، وكذلك في حي تاوريرت بدوار أكادير الهناء. وتعتبر عائلة أيت عبد الرزاق كغيرهم من العائلات بالمنطقة من عائلات فخدة تاسوسخت من قبيلة إسافن، نزحت خلال فترة معينة إلى المنطقة، وأصلها من دوار أيتب ومحمد الذي يقع حاليا قرب خميس إسافن. ومن أهم الأماكن التي خلدت اسم العائلة نجد:

تاكاديرت ن أيت عبد الرزاق:

علم على آثار مباني مخربة تقع غرب دوار أكادير الهناء فوق حقول أقدّام ببلدة كانت قديمة مخربة كانت تسمى "تيژيرت"، كان قد بناها المسمّى أمغار محمد بن ابراهيم بن عبلاّ من عائلة أيت عبد الرزاق "الكجكالي الإيفراني" من دوار أكُجكال، أيام الفتنة التي اشتعلت بينه وبن الشيخ سيدي محند بن محمد بن أحمد الأعرج من عائلة أيت حساين، وكان سبب هذه الفتنة هو مقتل طالبين من طلاب مدرسة أكادير الهناء وهما: سيدي الطيب من عائلة أيت بنيوس وسيدي محمد من عائلة أيت لحاج (قتلا بمنطقة كر أونا وسط الواحة) وانقطع بسبب هذه الفتنة ثلث عشر المؤونة التي كانت قبيلة جزولة التاسوسختية بطاطا تعطيها للزاوية والمدرسة الهنائية، وهي المؤونة التي تم إقرارها منذ عهد سيدي محمد بن أحمد ناي حساين. ويحكى أن هذه الحرب التي نشبت بين أكادير ن لهنا المدعمين من حلف جزولة وأكُجكال المدعمين من حلف سكتانة، دامت رحاها ١٧ سنة و٧ أشهر و٧ أيام. وقد بنيت هذه القلعة بسواعد أهل أكادير الهناء بعد استقواء أهل أكجكال عليهم، حيث إن الشيخ محمد بن إبراهيم أمر كل فرد من ساكنة أكادير الهناء بأن يحضر له جدع نخلة لتغطيتها إلا الشيخ سيدي محند بن محمد بن أحمد ن أيت حساين فأمره بإحضار جدع شجرة الجوز، التي لم تكن متوفرة في المنطقة، غير أن الشيخ أحضرها في يوم واحد بمنطقة تالوين والتي مازالت ماثلة للعيان كإحدى دعائم زقاق تاسوكّت ن لمدرست. غير أن هذه القلعة سرعان ما خربت من طرف الشيوخ: بركة، علي، محمد، وهم إخوة من إيكيزولن من قبيلة أيت أمريبط بأقّا، بعدما استنجد بهم الشيخ سيدي محند بن محمد، ودخلوا دوار أكُجكال بعد حرب ضروس وبعد تجاوز جدران من الحجر كان سكان الدوار ومناصريهم قد نصبوها لأيت أمريبط. ليوضع بعد ذلك الحد للفتنة المشتعلة بين أهل أفرا بعد أن عاد أهل أكُجكال لجادة الصواب[٢٠].

العلم اسم مركب من: "تاكاديرت" اسم مؤنث يذكر على "أكادير" وهي الحصن الصغير أو القلعة الصغيرة. "ن" حرف اضافة. "أيت عبد الرزاق" اسم العائلة السابقة الذكر.

تيكمّي ن لقايد يوسف:

علم على منزل كبير يقع بدوار "أكُجكال" قرب المسجد القديم، بناها المسمى القايد يوسف من أسرة أيت عبد الرزاق. والعلم اسم مركب من: "تيكمّي" وتعني المنزل. "ن" حرف إضافة. "لقايد" صفة تدل على الرياسة والقيادة. "يوسف" اسم علم مذكر. وكان القائد يوسف قد عيّن بظهير ملكي من السلطان الحسن الأول بوادي نون سنة ١٣٠٣ هـ بعدما توجه إليه أهل طاطا للبيعة والولاء، فكان قائدا على "تاكوزولت" من طاطا وهي قرى تالدنونت، أيت ياسين، إينضفيان، أكُجكال، أكادير الهناء، تيكيسلت، أكرزاكن وأنغريف. وهو من دوار أكُجكال من أيت عبد الرزاق وكان لينا حسنا في عهوده ومواثيقه، لا يغدر ولا يخيس ولا يبخل بماله

على شيعته، يثني الناس عليه كثيرا، وقد كانت ما شاء الله حروب بينه وبين جيرانه من غير أهله، توفي رحمه الله نحو ١٣٢٥ هـ[٢١].

٤/٣-مزارات ومراكز سكنية

سيدي لحاجّ لغازي:

علم على مقبرة توجد بمنطقة إغير ن ايكيدي شمال أفرا علي يسار الطريق الرابطة بين طاطا وتكموت (في الكيلومتر ٨)، دفن به شخص يسمى سيدي الغازي اولحاجّ، كما تتضمن إلى جانبه مجموعة من القبور، ويحكى أنها لأصحابه أو أنها لأفراد من قبيلة أولاد جلال الذين كانوا يجوبون المنطقة فيما مضى. أما الأسطورة أو الحكاية الشفوية فتقول إن غزاة وصلوا إلى منطقة كر إيسافّن فتعرض لهم هذا الولي ومعه جيش من الجنّ، فسألهم عن مقصدهم فقالوا إنهم ماضون لتدمير قرية أكادير ن لهنا، فأشار عليهم بالرجوع حيث أتوا وإلا فإن مصيرهم الهلاك، كما توعدهم بنفس المصير إن هم عاودوا الكرّة من جديد. بعد ذلك بأيام قام هذا الولي بزيارة للفقيه سيدي محمد بن أحمد ن أيت حساين بأكادير الهناء وحكى له ما جرى، فأكرمه الفقيه، وأمر بنته فاضم بعد وفاة سيدي الغازي اولحاجّ، بأن تذهب إلى تلك المزارة ومعها النساء والأطفال وإعداد وجبة العصيدة وأكلها فوق الحجارة وترك ما بقي منها لتأكلها الحيوانات والطيور. فأصبح بذلك موسما سنويا يقام في بداية فصل الخريف، فيذهب إليه الفقهاء والطلبة ويقرأون ما تيسر من القرآن والأذكار طلبا للغيث، كما تذهب إليه ساكنة أفرا ويجلسون هناك حتى هطول المطر، وكانوا يحملون المؤن مما تم جمعه من قبل النساء المكلفات بدواري أكادير ن لهنا وأكُجكال. غير أن الموسم توقف سنة ١٩٩٧ بعدما رأت المكلفة بالإعداد له، وهي للاّ عائشة محند ن أيت ودرحمان، ما استفحل من المناكر والفتن يوم انعقاده. وتم تجديده بعد ذلك بسنوات من طرف بعض النسوة بعد أن أخذن المشورة من حفيدة سيدي محمد ن أيت حساين[٢٢]. كما روي لنا أنه أثناء انعقاد الموسم تجتمع النساء ومعهن الدفوف فيتغنون بأغنية كلماتها:

ⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ
ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ
ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ

وينهون الموسم بأغنية مفادها:

ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ
ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ
ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵏⵙⵉⵎⵓ ⵙⵉⵎⵓ

العلم اسم مركب من: "سيدي" اسم تبجيل واحترام. "لحاجّ" لقب على كل من زار بيت الله الحرام أو كل من حاجّ، و"لغازي" اسم عربي يدل على اسم الفاعل من فعل غزا، يغزو، غازٍ. وهذا الاسم، أي الحاج الغازي، كثير الانتشار في منطقة سوس، وربما يدل على شخصية مجهولة أو شخص أدى فريضة الحج وتوفي في طريق عودته إلى بلدته.

سيدنا دانيال:

علم على مزارة توجد بمنطقة تكموت شمال طاطا، بها ضريح يقال إنه لنبي من أنبياء الله يدعى دانيال، كما تتوفر على مسجد تابع لقبيلة أيت تكموت ن يعقوب، إذ يشتهر بموسم خاتمة البخاري الذي يقام سنويا بحيث تجتمع فيه الأسرة العلمية بالمنطقة ونواحيها.

العلم مركب من "سيدنا" وهي لفظة للتبجيل والاحترام و"دانيال" ذكر في سير العلماء على أن دانيال " عليه السلام، كان نبيا من أنبياء بني إسرائيل، وكان في زمن بخدنصر الذي خرب بيت المقدس، وقتل من قتل من بني إسرائيل، وأحرق التوراة. وتعرض للتعذيب بمعية بعض الأحبار من بني إسرائيل، وفرّ مع رفيقيه حزقيل (دفين منطقة والكنّاس بقبيلة إسافّن) وشنّاويل (دفين بمدينة تمدولت الأثرية القديمة بأقّا) إلى منطقة المغرب وبالضبط إلى سفوح جبال السوس الأقصى وهناك استقر إلى أن وافته المنية ودفن بين ثنايا جبال المنطقة. كما أن هناك رواية شفوية أخرى تنقصها الدقة التاريخية تقول إن أهل «تكموت»، حين اشتد بهم الجوع والقحط، استنجدوا بأهل العراق قصد منحهم تابوت

نبي الله دانيال لجلب المطر، حيث تزعم الرواية أن السماء إذا رأت وجهه تمطر، مقابل سبعين فارسا من فرسان المنطقة. فكان لهم ما أرادوا فاحتفظوا بالتابوت بالمنطقة.

سيدي والكنّاس:

عَلم على مزارة ومقبرة ما لبثت أن تحولت إلى تجمع سكني. يحده شرقا وشمالا وادي أسيف ن أيت فييّد، وغربا وجنوبا جبل أدرار ن شّيغْ. تابع قبليا لفخذة أيت فييد، وإداريا لجماعة إسافّن القروية، به مسجد ومدرسة علمية عتيقة تضم أزيد من ٩٠ طالب علم، ويقام بها موسم سنوي في الخميس والجمعة من الأسبوع الثالث من شهر غشت، وتقبل عليه كل فخذات وعشائر قبيلة إسافّن والقبائل المجاورة كإبْركاكْ وإداوْكنسوسْ.

العلم اسم مركب من: "سيدي" وهي أداة تبجيل واحترام؛ "والكنّاس" وهو اسم ولي صالح دفن بهذه المقبرة، ويقال أنه كان فقيه مشارط بقبيلة أيت فييد خلال حقبة تاريخية سابقة، وأصله من تافراوْت نْ وامْلّن، وقد استقدمه أهل المنطقة إلى هذه المدرسة العتيقة لما لها من مكانة في نفوس الأهالي، حيث أن اسمها الأصلي واسم مدرستها العتيقة الحالي هو سيدي حيزْقيلْ، ويقال أنه نبي من أنبياء الله، كما يحكى أنه حبر من أحبار اليهود الذين فروا من بطش بخدنصر إبان حكمه لبلاد بابل، ليهرب بمعية إثنين من أصحابه إلى منطقة السوس الأقصى، وهما دانيالْ (السابق ذكره) المدفون بقبيلة تاكموتْ، وشنّاويلْ المدفون بمدينة تامْدولّت بمنطقة أقّا. وقد ذكره الشريف الكتاني في كتابه قائلاً: "سيدي وَلْكنّاس مدفنه على رأس جبل بين تيزغت ووادي إسافن؛ قبره معروف عند أهل تلك البلاد، معظم محترم يقصدونه بالزيارة، ويستشفون بترابه كذلك، و لا يسكن أحد بالقرب منه الا بعيدا"[٢٣]. ومن الروايات التي أفادنا بها الأستاذ إبراهيم أوبلا، أن هناك وثيقة لدى السيد محمد بن العربي نْ أيت زكري بدوار إكيوزْ (فخذة إد ؤ مارتيني) وهي منقولة عن كتاب ألفه أحد الحضيكيين تتحدث عن شخص اسمه كُنّاسْ ذكر فيما بعد بالوالي كُنّاسْ، وذكرت تلك الوثيقة أنّ هذا الشخص هو قاتل المولى إدريس وقد هرب واختبأ في هذه المنطقة فأجَلّه السكان ولّما مات بنوا عليه ضريحا بجوار قبر حيزقيل (الحبر اليهودي). كما أن هناك احتمال أن يكون أصل التسمية هو: وْكانوس (أي من أهالي كانوس)، وبالتالي يكون أصله من دوار كانوسْ المندثر في حقبة زمنية غير معروفة، والذي توجد آثاره غرب دوار تيزْكي ن إد ؤ بالول، ويروى أنه من أقدم التجمعات السكنية بالمنطقة.

ومن الأسباب التي جعلت من هذا المكان تجمعا سكنيا، منذ عقدين من الزمن تقريبا، هو رغبة أهل القبيلة في إحياء هذه المدرسة العلمية العتيقة، حيث أصبح الان يسكنه فقيه المدرسة والأساتذة المدرسون والاداريون والطلبة، بعد أن تم تطبيق نظام التعليم الأصيل العصري، وأصبحت تدرس بها مجموعة من المواد الأساسية كاللغات والعلوم الدينية بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم.

ويعتبر هذا الاسم من أسماء الأماكن التي تعددت مسمياتها في أماكنية المنطقة، فبالإضافة إلى هذا التجمع السكني، فقد أطلق نفس الاسم على المزارة التي توجد به، كما سمي به سدّ صغير تم إنشاؤه على وادي أيت فييد قرب هذا المكان إبان فترة الاستعمار.

سيدي محند وْبراهيم:

علم على مزارة تقع ترابيا في نفوذ جماعة تامانارت القروية بين دواري أكرض ولقصبت، جنوب شرق إقليم طاطا. إذ أن بالمنطقة ينظم موسم من أكبر المواسم بإقليم طاطا كل سنة أواسط شهر شتنبر.

العلم مركب من "شيخ" أو "شيغ" بلغة أهل المنطقة وهو الشيخ أو الولي الصالح والفقيه، "سيدي" اسم تبجيل واحترام و "محند وْبراهيم" هو امحمد بن إبراهيم بن عمر بن طلحة بن محمد بن سليمان بن عبد الجبار اللكوسي الجزولي، الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة، التقي الصالح الزاهد الورع، وحيد دهره، المقيم على السنة أحسن قيام. طارت شهرته في عصره وما بعد عصره، شارط سنوات وتولى القضاء أعواما، أمضي عمرا غير قليل في التدريس مع شغله ذلك كله بتربية المريدين وارشاد المسترشدين وصقل النفوس وتهذيب الأخلاق. وإلى جانب هذه المصالح الخاصة كان رحمه الله يقوم بمصالح عامة، فيسوى الطرق الصعبة

ويبني الجسور على الأنهار التي لا تعبر في الفصول ويحفر نطفيات في معاطش بين القفار. كان مولده في بلدة ايمي ن وْكادير ن ترصواطّ بقبيلة أمانوز من بلاد تهالة ونشأ فيها بين أبويه وإخوته، ثم جال في بلاد جزولة للتعلم ودار على من بها من الطلبة للاستفادة والقراءة عليهم. فأخذ العلوم الشرعية على يد شيخه الفقيه الحجة أبي على الحسن بن عثمان التملي الجزولي. انتقل بأولاده، بعدما عاد من رحلته في طلب العلم بدرعه، إلى وادي تامانارت وتولى الامامة في مسجد من مساجدها. توفي رحمه الله في صفر سنة ٩٧١ ه،[٢٤] وقيل بعد وفاة سيدي أحمد بن موسى بشهرين. أوصى بنيه لا يأووا ثلاثة: قاتل النفس، والعبد الآبق، والهارب من السلطان، قائلا إن إيواءهم من الفساد في الأرض.

بن يعقوب:

عَلم على مزارة توجد بجماعة سميت بنفس الاسم ألا وهو بن يعقوب تضم ثماني دواوير أو تجمعات سكنية وهي: إمي نتاتلت (وهي التي توجد فيها هذه المزارة)، رّكن، أفوزار، إليغ، تيسناسامين، تيصفريوين، أكني وإمي نتالات. تقع هذه الجماعة في الشمال الشرقي لمدينة طاطا، ويقام بها موسم يعد أكبر موسم بمنطقة الأطلس الصغير، إن لم نقل بالجنوب. بها مدفن الولي الصالح سيدي مَحمد بن يعقوب. العلم اسم مركب من "بن" بمعنى ابن و "يعقوب" وهو والد الولي الصالح مَحمد بن يعقوب الصنهاجي السكتاني من أولياء الله العارفين، وأرباب المجاهدات، وأصحاب المقامات، له تربية نافعة في عصره، وبركته فائضة، وأحوال صافية صادقة. نزيل فم تاتلت (وهي إمي ن تاتّلت). ومن عظيم بركاته وفائض كرامته أنه سكن بناحية لا مزروع فيها بعلا ولا سيحا ولا ماء إلا بؤيرة صغيرة، فكانت ترده المؤن والأعداد الكثيرة من الناس فيطعمهم بين الليل والنهار أربع مرات، وكان ذلك دأبه طول عمره[٢٥]. ومما حكي عنه أن لم يتزوج حتى بلغ السبعين من عمره، فلم يمت حتى شاهد من صلبه أربعين نفسا بين ولد صلب وولد ابن، وعاش مئة وعشرين عاما. وتوفي رحمه الله سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٥م). وقد عاش في عهد الدولة السعدية أي في عهد السلطان أبا محمد عبد الله العادل.

لقصبت ن سيدي عبد الله بن مبارك:

علم على تجمع سكاني يعد من أكبر التجمعات السكانية بمنطقة أقّا جنوب طاطا، إذ أن الاسم في أصله سميت به المنطقة التي دفن بها الشيخ سيدي عبد الله بن مبارك، غير أنّ هذا الاسم تم اطلاقه على الجماعة الترابية التي تضم عدة دواوير (أكادير أوزرو، لقصبة، تاوريرت، الزاوية، إرحّالن...).

العلم اسم مركب من لقصبت وترادفها القصبة بالعربية ويراد بها في المغرب بناية محصنة بأسوار متينة، وهي التي تقابلها كلمة القلعة الشائعة في الشرق. وتستعمل القصبة باللسان الدارج المغربي في صيغ مختلفة: لقصيبة للتصغير ولقصابي للجمع. وهناك تجمعات حضارية وأخرى قروية تحمل اسم القصبة، ولعل أهمها قصبة تادلا، لقصيبة، لقصابي (طاطا)... ومازالت الكلمة مستعملة في شبة الجزيرة الإيبيرية للدلالة على بقايا حضرية وسيطة: alcazaba بالإسبانية وalcazova بالبرتغالية. وتتميز القصبة بكونها أهم بناء في المدينة وبتحصينها ومناعتها إذ توفر مكانا صالحا للمقاومة مدة زمنية طويلة. وغالبا ما يكون موقعها استراتيجيا يمكن من الدفاع عنها[٢٦]."ن" حرف إضافة، "سيدي" اسم تبجيل واحترام، "عبد الله بن مبارك" هو عبد الله بن مبارك الأقاوي بن علي بن الولي الكبير، الشهير بالبركة أبي عبد الله محمد بن مبارك السوسي الأقاوي ولد في شهر ذو القعدة سنة ٩٣٦ هـ، كان من أعلام الدولة المنصورية ببلاد المغرب. انتهت إليه الرياسة فيها في سياسة الآدب، معظما عند ملوكها وعظمائها، مرجوعا إليه في حوادث الأمور عند نزولها، ماضي العزم في تأن وتؤدة، منتج التدبير سديد الرأي ومتين العلم والدين... له فطنة صادقة ومروءة فائقة مآثر حسنة... كان جوادًا كريمًا لا تفارقه أهبة الضيافة أينما توجهت به مطيته يجيز الوفود بمثل جوائز الملوك، وينزل الناس منازلهم، ويسعى بماله ونفسه في قضاء حوائجهم... كان مطلعا على كتب العلوم والفقه. أخذ العلم عن العالم الشهير فقيه جزولة أبي عبد الله سيدي امحمد بن إبراهيم بن عمرو بن طلحة التامانارتي، وعن الحسن بن عثمان الجزولي التملي وعن الامام ابن غازي وأبي العباس الونشريسي، كما أخذ عن الصالح أحمد بن

سليمان الرسموكي وعن الفقيه العامل علم العلماء أبي العباس أحمد ابن عبد الرحمان المسكدادي... كان يسكن في دوار الزاوية حيث أمضى جده سيدي امحمد حياته، فكان أعظم شيخ علامة في جزولة معنيا بالتدريس، وقد تزوج بنتا من بنات شيخه التامانارتي فولدت له أحمدا ومحمدا وعدة بنات، كما تزوج بنت الشريف سيدي محمد بن محمد بن أحمد بن موسى فولدت له مباركا وعكيدة. وكان ذا مال وافر، لكن الله أكرمه بعدم الافتتان به. توفي رحمه الله عن عمر يناهز ٧٩ سن إلا شهرًا، ليلة الإثنين لتسع بقين من رمضان سنة ١٠١٥ هـ.[٢٧] وهنا العديد من الأماكن الأخرى بالإقليم سميت تيمنا بهذا العالم الكبير ومنها: زاويت ن سيدي عبد الله بن مبارك، تاركانت ن سيدي عبد الله بن مبارك، تيمزكيدا ن سيدي عبد الله بن مبارك، سوق ن سيدي عبد الله بن مبارك (سوق خميس إسافن الحالي).

خَاتِمَةٌ

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الموجزة أن نسلط الضوء على جزء مهم ومنسي من ثقافة وتاريخ وجغرافية قبائل طاطا، وذلك من خلال المزاوجة والربط بين الطوبونميا أو الأماكنية كعلم يهتم بدراسة أسماء الأماكن وبين التاريخ والتراجم عبر أسماء أعلام مروا من هذه الربوع وأسسوا بها حقبًا مضيئة من العلوم الشرعية والفقه والإشعاع الروحي. غير أن الدراسات الدقيقة من هذا الجنس ستساهم لا محال في نفض الغبار على جوانب أخرى لم يتم التطرق إليها بعد، وذلك من خلال إعداد قاعد بيانات تضم كل أسماء الأماكن بمنطقة باني علّها تجد إجابات شافية لأسئلة تاريخية، لسنية، علمية وجغرافية مازالت تؤرق بال الباحثين في هذا المجال الواحي الصحراوي، الذي كان في مجموعة من الحقب التاريخية مسرحًا لمجموعة من الأحداث ساهمت في تشكل الحضارة المغربية، بدء بفترة ما قبل التاريخ من خلال النقوش الصخرية المترامية على طول جبل باني وبالجبال الشمالية المجاورة، مرورًا بفترة دخول الإسلام ونشأة الدول المتعاقبة، وانتهاء بالفترة المعاصرة التي اتسمت بالاستعمار الفرنسي في بدايتها إلى فترة بناء الدولة المغربية المعاصرة.

الإحالات المرجعية:

(١) عبد الهادي التازي، ١٩٩٢، "**الفكر الجغرافي عند المغاربة**"، ضمن: الاسم الجغرافي: تراث وتواصل، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطوبوغرافية والمعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٥-١٦-١٧ أبريل، المحمدية، ص:٢٧.

(٢) عبد الله العوينة وشاكر ميلود، ١٩٩٢، أهمية الأعلام الجغرافية في تصور البيئات القديمة: حالة منطقة بوخوالي وبني يزناسن (المغرب الشمالي الشرقي)، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية: الاسم الجغرافي تراث وتواصل، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطوبوغرافية والمعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٥-١٦-١٧ أبريل، المحمدية، ص: ٥٩

(٣) Mahand Tilmatine, Aspects de la standardisation de la langue amazighe : la toponymie, université Cadix, P : 4

(٤) Albert Dauzat, 1932, les noms des lieux : origine et évolution, librairie Delagrave, Paris, P : 6-7-8

(٥) مصطفى عياد، ١٩٩٢، العام والخاص في التسمية المواقعية، أعمال المناظرة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية: الاسم الجغرافي تراث وتواصل، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطوبوغرافية والمعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٥-١٦-١٧ أبريل، المحمدية، ص: ١٥٤

(٦) عمر نوحي، ١٩٩٨، **الطوبونميا المغربية: نماذج من منطقة طاطا**، بحث لنيل الإجازة في الآداب، تحت إشراف الأستاذ: أحمد الهاشمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير.

(٧) عبد الهادي التازي، ١٩٩٢، "الفكر الجغرافي عند المغاربة"، ضمن: الاسم الجغرافي: تراث وتواصل، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطوبوغرافية والمعهد الجامعي للبحث العلمي، ١٥-١٦-١٧ أبريل، المحمدية، ص: ٣١

(٨) عبد الهادي التازي، م.ن، ص: ٣١

(٩) عبد الهادي التازي، م.ن، ص: ٣٢

(١٠) محمد حنداين، ١٩٩٣، مساهمة في دراسة أولية للأعلام الجغرافية بتارودانت، ضمن تارودانت حاضرة سوس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، ص: ٢٥٥

(١١) الحسين أزغار، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، دراسة جغرافية لـ أماكنية الأطلس الصغير الأوسط: أماكنية منطقة طاطا وتگموت، تحت إشراف الأستاذ: المصطفى أيت تيري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، ١٩٨٩، ص: ٩ و ١٠

(١٢) محمد المختار السوسي، **المعسول**، ج ٥، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، ١٩٦٠، ص: ٢٠٧

(١٣) محمد شفيق، ١٩٩١، **المعجم العربي الأمازيغي**، الجزء الأول، ص: ١٦٤، منشورات أكاديمية المملكة المغربية: سلسلة معاجم، الرباط.

(١٤) محمد المختار السوسي، م.س، ص: ٢٠٧

(١٥) محمد المختار السوسي، م.ن، ص: ٢١٨

(١٦) محمد المختار السوسي، م.س، ص: ٢٠٨-٢٠٩

(١٧) محمد المختار السوسي، م.ن، ص: ٢٠٨

(١٨) محمد المختار السوسي، م.س، ص: ٢٢٢-٢٢٣

(١٩) محمد المختار السوسي، خلال جزولة، ج٣، المطبعة المهدية، تطوان، ١٩٥٩، ص: ٩٦

(٢٠) معلومات استقيناها من السيدة الفاضلة فاضم بنت محند الحنفي، يوم ٢٠١٥/٠٢/٠٥، بدوار أگادير الهناء

(٢١) محمد المختار السوسي، م.س، ص: ٩٦

(٢٢) معلومات استقيناها من السيدة الفاضلة للا عائشة محند ودرحمان، يوم ٢٠١٥/٢/٢، بدوار أكادير الهناء

(٢٣) الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (١٢٧٤-١٣٤٥)، **سلوه الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء ب**فاس، تحقيق: عبد الكامل الكتاني وآخرون، الجزء الثالث، دار الثقافة، ٢٠٠٤، الدار البيضاء.

(٢٤) محمد المختار السوسي، المعسول، ج ٧، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، ١٩٦٠، ص: ١٠-١٣

(٢٥) عبد الرحمان التمنارتي، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تحقيق اليزيد الراضي، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ص: ١٦٢-١٦٣

(٢٦) الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٩، **معلمة المغرب**، الجزء ١٩، مادة "القصبة"، ص: ٦٦٣٣، نشر مطابع سلا، المغرب.

(٢٧) محمد المختار السوسي، ١٩٦٣، **المعسول**، الجزء ١٨، ص: ١٧٣-١٧٥، مطبعة النجاح، الدار البيضاء.